AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

Jurnal Afaq Lughawiyyah
Universiti Sultan Zainal Abidin
مجلة آفاق لغوية - جامعة السلطان زين العابدين

الإطلاق والتقييد في تحليل النصوص الدينية: سورة الأعلى نموذجا

[GRATIS AND GRATUITOUS IN ANALYZING RELIGIOUS TEXTS: SURAH AL-A'LA AS CASE STUDY]

Abdul Hadi Adeniyi Saladudeen

Faculty of Languages and Communication Studies,
Ibrahim Badamasi Babangida University, Nigeria

Corresponding Author: *saadeniyi@ibbu.edu.ng*

Received: 26/10/2024 *Accepted: 24/12/2024* *Published: 31/3/2025*

ملخص

تعد هذه المقالة معرضا دراسيا تطبيقيا لموضوع الإطلاق والتقييد في النصوص الدينية. ويستهدف الباحث إزاءه إثبات قوة العاملينِ في استخراج المعاني المختفية من النص، وإحصاء ما كثر ورودها من بين العاملين. واتبع الباحث في إنجاز هذا البحث المتواضع المنهج الوصفي التحليلي. وتكونت المقالة من مفهوم الإطلاق والتقييد لغة واصطلاحا، وأهم الأدوات التي تفيد التقييد، كما وضع الباحث الدراسة التطبيقية النموذجية للموضوع المدروس من سورة الأعلى. وتوصل الباحث في نهاية الدراسة إلى أن التقييد أكثر إيرادا في الخطاب المحلل من الإطلاق، وذلك من أجل البيان والفصاحة وتوطيد المقصد بين منتج الحديث والمتلقي. لأن الهدف الأساس للغة هو البيان، وإذا منحت الحرية المطلقة للمستمع؛ فإن ذلك يؤدي إلى الغموض وسوء الفهم.

الكلمات المفتاحية: الإطلاق، التقييد، التحليل، النصوص، سورة الأعلى

Abstract

This article is an applied and scholar exhibition study of gratis and gratuitous articles in Islamic religious texts. It intends to certify the influence of these two mechanisms in finding the hidden meanings from the text, and to proclaim which one is common in usage. The researcher followed descriptive and analytical

methods in this article. The article consists of lexical and technical meaning of the terms, the main gratuitous articles and a case study of gratis and gratuitous in one of the Quranic chapters (Surah al-A'la). The result shows that gratuitous is more common in use than gratis, this is essential for explicitly and clearance of the text contents. It also restricts receiver autonomy to check ambiguity and misunderstanding.

Key words: *gratis, gratuitous, analyzing, texts, Surah al-A'la*

مقدمة

تعد ظاهرة الإطلاق والتقييد موضوعا مشهورا ومتّسعا بين العلوم الإنسانية، ذكرها المناطقة فقد ذكر المناطقة المطلق بعنوان (الكلي الطبيعي) وهو المفهوم الذي يشيع صدقه على كثيرين، ويتحقق بتحقق فرد من أفراده (Al-Asfahani, 2016)، والفلاسفة في دراساتهم يرونه عمدة أساسية في مضمار كشف أسرار الخطاب والاطلاع على حِكَم المتلقي المدفونة في صدره ويريد منها العالم الفلسفي أن يكتشفها مما ذكره المتحدث من الأخبار والمعلومات. كما اعتنى أصحاب البلاغة بهذا الموضوع؛ وهم يدرسونه بجوانبه الجمالية في تقديم مضمون الكلام وتأثيره في نفس المتلقي. عرّف الإمام السكاكي الإطلاق باللفظ الذي لم يعتبر فيه العموم والخصوص، ما وضع لشيء لا بعينه. (Sakaki, 2000, p58). وما تغافل علماء أصول الفقه بهذا الموضوع، "فكانت غايتهم مرتبطة باستكشاف الحكم الشرعي من النصوص الدينية، وفهم المعنى وتحديد مراد المتكلم (Al-Asfahani, 2016)، ولا تقتصر هذه الدراسة على العلماء المذكورين آنفا فحسب، بل قد راجعها اللسانيون أيضا، الذين يبحثون عن حقيقة ما أراده المتحدث في البنية السطحية المشتملة على المفردات والتراكيب، والقواعد النحوية والصرفية بالاعتماد على البنية العميقة.

يشتمل الحوار بين المتحدث والمتلقي على عدد من الأحوال الخارجية التي يراها أو يشمها كلاهما أثناء الخطاب، كما لا يستهان في مجال الدراسات اللسانيات بالعمليات الباطنية العقلية التي تساعدنا على استيعاب الموضوع المتلقى في الحوار، لأنها أخذت المتحدث إلى مشاورته مع المتلقي. إذ يمرّ الحديث الإنساني بخمسة مراحل قبل النجاح في العملية الخطابية، ولا يتم التحليل الخطابي دون أن تتم هذه المراحل الخمسة، أولاها أن يؤثر المضمون الخطابي في صدر الإنسان أو مخه، ويتمتع ذلك الإنسان بالقدرة على إخراج هذه المضمونات المؤثرة بمساعدة أعضاء النطق السالمة من العلل والأمراض، كما لا تقلّ عن ذلك أهمية خلو الموج الهوائي الأستوكي من الاضطرابات والضوضاء حتى يصل الكلام المنطوق إلى أذن المستمع، ويقوم عقب ذلك باستيعاب المضمون الكلامي بمساعدة عقله ومخه الناضج، ثم يتفكر فيما ذكره المتكلم بما ذا يردّ عليه. " إن عملية الحديث للإنسان تجتاز خمس مراحل من أول وقت التفكير في الصدور إلى وقت وصوله إلى أذهان السامعين: تفكير المتكلم في الغرض الذي يريد

الحديث عنه، نشاط أعضاء النطق في إصدار الأصوات التي تؤثر في الهواء الخارج من الأنف والفم، والنشاط في الوسط الموصل للصوت، واستعداد أذن السامع لاستقبال هذه الموجات الهوائية، ومبادرة ذهن السامع لدراسة الصوت الذي وصل إلى أذنه (Naja, 2008, Pp16).

فتلك المراحل الخمسة دعت المتحدث إلى إعطاء المتلقي حرية كاملة وفرصة توسيع المعنى لما أدركه مما قدم إليه المتحدث من الخطاب. فإعطاء الحرية الكاملة للمتلقي هو ما أراده المتحدث في توظيف الإطلاق، حيث يمكن له إجراء قوة قريحته ونشاطات مخه العجيب في استلهام ما أراده المتحدث ويتفق معه أو يخالفه فيما ذكره من مضمون العبارة. وتترأس في توظيف هذه القدرة تجارب القارئ أو ثقافته أو علمه عن الموضوع المدروس. وتمكن إجراء هذه العمليات منح القارئ أو المستمع هذه الفرصة في الظاهرة الإطلاق فحسب، ويقيّد المتحدث هذه الحرية ويعقّد إطلاقه إذا استخدم التقييد، حيث لا يتسع للمتلقي أن يجري عقله في مضمار الفهم كما اشتهته نفسه. بل يراقب ما ذكره المتحدث من المفردات وما وظفه من أدوات التقييد، لا يطغى أو يخرج عنها، إذ قد احتوت العبارة على ما يشير إلى مقصد المتحدث بالضبط؛ وتشير زيادة الكلمات في الحوار إلى المعنى البؤري الذي يودّ منتج الكلام أن يتلقاه المتلقي من الكلام الملفوظ. " فالمعنى هو ما يجعل اللغة لغة، وليست جوانب اللغة كلها إلا جوانب للمعنى، ويكون علم اللغة نتيجة لذلك دراسة معنى اللغة حيث تتجه الوظائف الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية إلى الوظيفة الدلالية، وبهذا يتشكل فهم تام ودقيق للغة (Buhayri, 1997,Pp92).

تتكوّن هذه المقالة على مفهوم الإطلاق والتقييد، ثم مظاهر التقييد أو ما يستعين بها المتحدث في تقييد الكلام واختتم البحث بذكر الدراسة النموذجية التطبيقية للظاهرة الإطلاق والتقييد في أطياء سورة الأعلى حتى يتبين الاستشهاد على كثير مما ورد ذكره في الجانب النظري من هذه المقالة. واستهدف الباحث إزاء كتابة هذا البحث إبراز قوة الإطلاق والتقييد في فهم النصوص الدينية ويستنتج في نهاية المطاف ما كثر إيرادها من الظاهرتين والأسباب التي أدت إلى ذلك. وقد انتقى الباحث هذه السورة من بين السور القرآنية لقربها إلى الجمهور النيجيري الذي نعيشه حيث ارتكز عليها الجماعة المسلمة لكونها الحزب الأول من القرآن الكريم.

مفهوم الإطلاق والتقييد

اشتقت كلمة (الإطلاق) من الفعل أَطْلَقَ يُطْلِقُ، إطلاقا على وزن أَفْعَلَ يُفْعِلُ، إِفْعَالاً. والإطلاق بمعنى الإرسال والتخلية، ومنه الطالق، وهي الناقة ترسل ترعى حيث تشاء، إذا أطلقت ولا عقال عليها، وناقة

طالق، أي ترعى في الحي بلا خطام، والطلقاء الأسراء العتقاء، والطليق الأسير الذي أطلق سراحه، ومنه أيضا الطلاق، وهو تخلية المرأة من وثاق الزوجة (Ibnfaaris, 2002, Pp226).

والإطلاق اصطلاحا: أن يذكر الشيء باسمه، لا يقترن به صفة ولا شرط ولا زمان، ولا عدد، ولا شيء يشبه ذلك . ولم يذكر النحاة المطلق بلفظه في أعمالهم إلا أن تعريفه الاصطلاحي عند البلاغيين والأصوليين ينطبق على تعريف النكرة عند النحاة. عرّف ابن هشام الأنصاري النكرة بأنها ما شاع في جنس(IbnHishaam, 2003, Pp31)، وقال ابن عقيل "إن حكم علم الجنس في المعنى كحكم النكرة، من جهة أنه لا يخص واحدا بعينه ."(Ibn'Aqeel, 2007, Pp129).

والتقييد كلمة مشتقة من قَيَّدَ، يُقَيِّدُ، تقْييداً، والقيد معروف، والجمع أقياد، وقيود، وقيدتَ الدابةَ (IbnMandour, 1995, Pp557-558)، وهو أن تضع الحد أو الحدود لشيء ما يحيط بما في داخله، ويمنعه من الأجانب أو ما يأخذه إلى ما يخالف الغرض المقتصد من صاحب المحيط. يكون التقييد حينما لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه، ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن. وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بالمسند إليه أو المسند فالحكم مقيّد. ويكون التقييد حينما يتعلق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، بحيث لو حذف القيد لكان الكلام كذبا أو غير مقصود (IbnHishaam, 2003, Pp31)، نحو قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ فلو حذف الحال كلمة "لاعبين" الذي يرمز القيد لكان الكلام كذبا، أو غلطا خالف ما قصده المتحدث.

مظاهر التقييد في اللغة العربية

ينبثق التقييد بأدوات؛ تتم بمساعدتها ظاهرة التقييد، إذ ندر وجود التقييد بدون ما يرمز إليه ظاهرا أو باطنا، ويعتمد منتج الحديث عليها للإشارة إلى تحديد وتقييد ما أراده من المستمع أو القارئ أن يستوعبه من العبارة، وبدون هذه الأدوات فإن للمتلقى حرية التصرف مع النص، ويتلاعب بما أراده المتحدث، أو ينعكس ما يحبه صاحب الكلام. وبهذا يضلّ عن الطريق الذي يتمنى له المتحدث؛ فيستلهم ما يخالف إرادة المتكلم أن يرمي إليه من المعاني، وبهذا لا يتحقق ما يودّه المتكلم، فيفقد الحوار غايته، ويغدو هذا العمل الحديثي هراءً لا فائدة وراءه.

وقد ذكر السيد أحمد الهاشمي عددا هائلا من الأدوات التي يتم بواسطتها التقييد في اللغة العربية، فابتدأ بالتقييد بالنعت أو الصفة. إذ للمتكلم أهداف لإتيان بالصفة، إما تخصيص المنعوت بصفة تميزه إذا كان نكرا، أو توضّحه إذا كان معرفا، وبهذه الخصوصة فإن الحديث المتلقى يغدو

مخصوصا أو موضحا تحت التقييد بعد ما كان خاليا من الصفة، لأن المعرفة تكشف حقيقة الأمر فيما نسب إليه نحو قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ سورة النساء الآية ٣٤ ، فبإضافة "ال" المعرفة إلى كلمة "الرجال" في الآية الكريمة تشير إلى حقيقة ما أراده المتحدث، أن المقصود هو حقيقة الرجولة في الأصل، إذ قد نجد في مواقف أخرى تسود المرأة فيها على الرجال. ومما تفيده النكرة أو المعرفة في تقييد النص التأكيد، والمدح، أو الذم، أو الترحم فمثال التأكيد: جاء المعلم النشيط، والمدح: إبراهيم غني محترم، والذم: رأيت البنت الدميمة، والترحم: يا الله! أنا عبدك المسكين. فكل واحد من هذه الصفات يقيّد العبارة، ويحدد ما أراده المتحدث أن يفهمه المستمع أو القارئ من النص.

ومما تتوسط بها الظاهرة التقييد في اللغة العربية التوكيد، إذ هو يفيد التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، كما يرمز التوكيد إلى إرادة انتقاش معناه في ذهن السامع. ونجد مثالا جذريا لهذه الظاهرة فيما قصّه الله تعالى لنا في سورة يس الآية ١٣-١٦، قال تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾ ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززناهم بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ إذا أمعنا النظر في هذه الآيات الأربعة، فإننا نجد الآية الثانية قوله تعالى:﴿إنا إليكم مرسلون﴾ خالية من التوكيد، إذ رأى المتحدث المخاطب خالي الذهن، ولما اشتدّ عنود القوم، جاء في آخر الآية الرابعة: ﴿إنا إليكم لمرسلون﴾ حيث جاء بآدتين توكيديتين: (إنّ ولام) التوكيدان، ويفيد هذا التوكيد التقييد والتقرير وإرادة انتقاش المعنى المقتصد في ذهن السامعين. حتى يزيلان الريب والشك من نفوس المستمعين، فيؤمنون بما دعاهم إليه المرسلون.

ومما تستخدم من الأدوات للتقييد أيضا العطف بكلا نوعين، أي عطف البيان وعطف النسق. فيعطى عطف البيان لمجرد التوضيح للمتبوع باسم مختص به، نحو قوله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾ الخ" سورة المائدة الآية ٩٧، فالمقصود بالكعبة في الآية هو البيت الحرام، يكفي في التوضيح أن يبين الثاني الأول عند الجمع بينهما في الآية، وهي لم تكن موضحة عند انفرادها. وأما الهدف لعطف النسق فهو تفصيل المسند أو المسند إليه باختصار، نحو: جاء محمد ونبيل، وجلس العميد فرئيس القسم، وتكلم الأستاذ ثم الطالب، وجاء الأمير حتى الجند، فهذه الأمثلة على الترتيب فإنها تفيد التقييد لمعرفة السامع مالعلاقة بين هذه الأسماء المذكورة وما النشاطات التي حدثت بينهم. فيعدّ هذا التوضيح تقييدا لأنه يبين الوضع للمستمع ويزيده فهما.

ومن العوامل التي تستخدم للتقييد في اللغة العربية ضمير الفصل، فهو ضمير يأتي قبل الخبر أو الفاعل في الجملة، وزيادة هذه الكلمة في العبارة تشير إلى التخصيص نحو قوله تعالى: ﴿إن شانئك

هو الأبتر ﴾سورة الكوثر الآية ٣ فهذا الضمير زائد لتفيد التخصيص والتقييد لمن يأتي بعده إذ الآية مفهومة إذا خلت من هذا الضمير ولكن الله تعالى أراد التقييد لما احتوت عليها الآية من المعاني المختفية، ولإظهار تلك الدلالة أورد الكلمة (هو) في الآية الكريمة وذلك لتقييد المعنى المقتصد.

ويتم التقييد من معاني النواسخ، إذ هذه الأفعال تفيد إدراج الزمن إلى الجملة الاسمية الذي لم يرد آنفا في الجملة الاسمية، فلما أراد المتحدث تقييد المعنى ليستنبط الزمن الذي وقعت فيه الحادثة أورد ناسخة من النواسخ في نحو: كان إبراهيم مجتهدا، وأصبح الطالب معلما، وصار الطفل ولدا، وظل المريض عافيا... نجد في الجملة الأولى: (كان إبراهيم مجتهدا) أنها إذا خلت من اللفظ (كان)، (إبراهيم مجتهد) فإنه لا تشير إلى الوقت الذي اتصف إبراهيم فيه بالاجتهاد، ولما أراد أن يبين للمستمع أو القارئ الوقت الذي كان إبراهيم فيه مجتهدا استعان بالناسخ (كان) حتى يعلم المستمع أن اجتهاده وقع في وقت ماض، وأنه حاليا لم يكن متصفا بهذه الصفة. وهكذا دواليك في أصبح، وصار، وظلّ... فكل ما يشبه هذه العبارات في اللغة العربية فإنها تفيد التقييد والتحديد وإدخال الزمن إلى الجملة الاسمية التي خلت من الزمن سابقا.

ولا تقتصر النواسخ على كان وأخواتها فحسب، بل امتدت إلى "إنّ للتوكيد، وكأنّ للتشبيه، ولكنّ، للاستدراك، ولعلّ للرجاء، وليت للتمنى، وكذلك ما تفيد اليقين من هذه الأفعال، نحو: وجد، وعلِم، ودري، وما يفيد عدم اليقين، نحو: ظن، وحسب، وزعم، وخال... وما يفيد التحوّل في نحو: اتخذ، وجعل، وصيّر، وهلم جرا. فكل واحد من هذه الأفعال تفيد فائدة زائدة على العبارة وترتقي مقصدية العبارة إلى مرتبة واضحة لم تتمتع الجملة بها آنفا، كما ينقص معنى العبارة إذا خلت الجملة من النواسخ. أو نقول "يكون التقييد حينما يتعلق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، بحيث لو حذف القيد لكان الكلام كذبا، أو ضعيفا أن يعمل ما وضع من أجله وهو البيان (Al Hashimiy, 1999, Pp36).

ولا ينبغي اختتام هذا الجانب بدون ذكر أدوات الشرط، لأنها كثر الاستيراد في الخطابات الإنسانية، ويؤثر تأثيرا فعالا في تحديد مضمون الكلام، وتشتمل الجملة الشرطية على الجملتين، ثانيها تكون جوابا لأولاها، وتجعل القضايا بواسطة أدواتها تتنوعت فيما تشير إليه الجملة، منها ما كانت حرفا نحو مَنْ للعاقل، وما لغير عاقل، وكيف وكيفما للحال، ومتى للوقت... وتفيد أداة الشرط (لو) امتناع الشرط لامتناع الجواب... فكل هذه الصفات التي تمتاز بالجملة الشرطية تجعلها من الأمور الضرورية دراستها في مظاهر التقييد. إذ تلك الظواهر تقيّد وتحدّد وتشرح ما أراده المتحدث في كلامه أو نصوصه المكتوبة.

لا يتسع هذا البحث المتواضع ذكر أدوات التقييد بحذافيرها، إذ هي شائعة ومنتشرة بين الموضوعات اللغوية، ومما يجدر الذكر من أدوات التقييد المفاعيل الخمسة، أعني المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والمفعول فيه، فذكر هذه المفاعيل مثلا المفعول به: دخل الطالبُ الفصلَ، والمفعول المطلق: راجعتُ الدرسَ مراجعةَ الأديبِ، وضربتُ الولدَ ضربتيْنِ، أو درستُ الموضوعَ درسًا، والمفعول لأجله: أُصَلِّي الصلاةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، والمفعول معه: شَرِبْتُ وَالكُوبَ، والمفعول فيه: ذَاكَرْتُ الدَّرْسَ لَيْلًا. فكل واحد من هذه العبارات يقيد المعنى ويحدد المقصدية من الكلام.

الدراسة التطبيقية لظاهرة الإطلاق والتقييد في سورة الأعلى

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْـــــمَرْعَى﴾ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿إِلاَ مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ﴿فَذَكِرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِكْرَى﴾ ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

استهلت السورة بصيغة الأمر ﴿سبِّحْ﴾ من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأتى بقيد ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ وهو مفعول به ليقرر من يتم له التسبيح، وبيان أنه مأمور بتسبيح وتنزيه اسمه تعالى من كل ما لا يليق به مما ينسب إليه الكفار والمشركون، وهو مقدس عنها جميعا. "والتسبيح هو التمجيد والتنزيه واستحضار معاني الصفات الحسنى لله، والحياة بين إشعاعاتها وفيوضها وإشراقها ومذاقاتها الوجدانية بالقلب والشعور. وليست هي مجرد ترديد لفظ، سبحانه (Qutubu, 2019, Vol.6, Pp89) ورأى العلماء أن الاسم والمسمى هنا واحد، أي نزه ذاته عما دخل في الوهم والخيال، "والأعلى صفة للرب ويجوز أن يكون صفة للاسم والأول أظهر، ومعنى علوه تعالى أن يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى أعلويته أن له الزيادة المطلقة في العلو. وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل عليه السلام، وذلك أنه خطر بباله عظمة الرب تعالى، فقال: يا رب: أعطني قوة حتى أنظر إلى عظمتك وسلطانك؛ فأعطاه قوة أهل السموات، فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش، ثم سأل القوة فأعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير

ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجدا، وقال: سبحان ربي الأعلى، ثم سأل ربه أن يعيده إلى مكانه وإلى حالته الأولى (Barsawiy, Pp467) ثم قيّد هذا التسبيح لمن يكون فذكر من يستحق السبحة والتنزيه وهو (ربك الأعلى) فكانت هذه الكلمة بيانا لمن ينزهه الرسول والمسلمون قاطبة، حيث بيّنت الآية وصف من يقدّسه الرسول والمسلمون. وروي في الحديث أنه لما نزلت قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحِ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾سورة الواقعة الآية ٧٤ قال عليه السلام: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزل ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾سورة الأعلى الآية ١. قال فاجعلوها في سجودكم، وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾

واستمرّ الله في ذكر قيد آخر، وهو أنه خلق كل شيء فجعله سويا لما يناسبه من الأحوال والأعضاء. منحه ما يجعل حياته ومعيشته ممتعة. خلق كل شيء فسوّى خلقه بأن جعل له ما به يتأتي كماله ويتسنى معاشه. وتعد هذه الآية الكريمة بأكملها قيدا لما سبق، إذ قد يوجد من يجادل في انفراد الله بالتنزيه والتقديس، فيزعم في رأيه الهدام أن هنالك شيء آخر يستحق التسبيح دونه أو معه، فجاءت الآية بيانا وقيدا محكما يذكر للمتغافلين من لم يشارك أحدا مع الله في إيجاده، وهو خلق المخلوقات بوجه عام، ولم يترك فراغا لأحد أن يأتي بعيب مما خلقه الله، أو يجد عيبا مما قام الله بإبداعها قط، فهذه الآية الثانية قيد قوي يوطد ما ذكره الله في الأولى، وإذا لم يذكر فإنه قد ترك الفجوة للذي أراد التعارض على كلام الله، تعالى الله عما يقولون.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾

دأب الله في هذه السورة بذكر قيود جبروت ملكه الذي أهلّه بالتسبيح وهو أنه حدّد وكتب أجناس الأشياء، وأنواعها، وأفرادها، ومقاديرها، وصفاتها، وأفعالها، وآجالها... وكل هذه الأحوال لا يخالف مقداره إذ إنه سبحانه وتعالى قد قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة. وهو قيد متميز بالله سبحانه وتعالى، إذ هو الوحيد الذي استحق هذه المشيئة، ولا يستطيع أحد كائنا من كان أن يتولى بتقدير الأمور واهتداء صاحبه إلى كيفية الحصول عليها دون سواء. وقد تولى المفسرون ببيان ما أراده الله بهذه الآية بذكر العجائب عن الكائنات الحية من الإنسان أو الحيوانات، أو الجمادات . روى البرسوي في تفسيره: "إن الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله أن تمسح عينيها بورث الرازيانج الغض فيردّ إليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية

بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها عينيها بورقها وترجع باصرة بإذن الله تعالى. (Barsawiy, Vol.10, Pp468)

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾

فهي قيد آخر تمس النباتات التي يراها الناس بأعينهم، فذكر الله هذا القيد من أجل من لم يفهم مضمون الآية السابقة، فأتى بما في بيئته وما لا يستغنى عنه من المخلوقات الإلهية. قال ابن عباس: المرعى الكلأ الأخضر. أنبت بكمال قدرة الله تعالى ما تأكله الدواب غضا مشتملا على عدد من الألوان نحو: أخضر، وأصفر، وأحمر، وأبيض، أسود... وكل هذه النباتات يتزين بها الناس بيئاتهم، ومنها ما يأكلونها، ومنها ما يتداوون بها لعلاج أمراضهم وعالاتهم في كل وقت. فهذا القيد فعال لا يستطيع الإنسان أن يتغافل عنه. فيفيد ذكره الاعتقال لمن أراد الله به خيراً في الدارين. ومما يجب ذكره في هذا الصدد أن الآية ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾بأكملها خلت من أدوات التقييد، ولكننا بإمعان النظر إلى الآية تستدل على ذكر ما جعل الله يستحق التنزيه والتسبيح. وبهذا السبب نعدّ الآية بأكملها قيدا.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾

ويستمر الله في ذكر هذه القيود لإبراز حقيقة ما يدعو الله إليه انتباهنا. ويقول إنه سيجعله بعد ذلك غثاءً أي درينا وهو كأمير يبيس كل حطام حمض أو شجر أو بقل، يكون أسود اللون. قال الجوهري: الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القماش، والقمش جمع الشيء من ههنا وههنا وذلك الشيء قماش ما على الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لوذالة الناس قماش (Ibnmandour, Vol.6, Pp324). وتشير هذه الآية إلى زينة الحياة الدنيا ومنافعها فإنها مرعى النفس الحيوانية وأنها سريع الانتهاء، فلا ينبغي للعاقل أن يفضلها على الآخرة، لأن ثبوت ما حكاه القرآن يراه الإنسان العاقل في كل وقت وفي كل مكان.

﴿سَنُـــقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾

استفادت هذه الآية أيضا من التقييد حيث وعد الله رسوله بثبوت علمه وأنه تعالى سيقرأه صلى الله عليه وسلم ثم أتى بأداة من أدوات التقييد النفي (لا) حيث نفى وأزال ما قد يعرض على الإنسان الغافل بعجز الرسول في ذكر كل ما يحتوي عليه القرآن من الآيات المتشابهة والمتماثلة، وكون النبي أميا، يعرضه للنسيان في كل وقت، فاستخدم الله أداة النفي (لا) للتقييد، وأذهب ذلك الخوف عن الرسول ورسالته وأنه تعالى الذي أنزل الكتاب عليه قادر على ثبوته في صدره دائما. ومما جاء الباحث في هذا الصدد السين الذي يفيد التسويف في بداية الآية أنه من أداة التقييد حيث إنه يفيد إثبات هذه النعمة على الرسول على استمراره بهذه النعمة، وأنها سيبقى أبدا، وإذا خلت الآية من هذه الآداة فإن المعنى يعطي الملحد حرية الجدال أن الأمر عارض للنقصان أو عدم الاستقرار.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾

يرد التقييد في هذه الآية من الجانب الدلالي في بداية الآية الكريمة، حيث خلت ظاهرة الآية من أدوات التقييد، ولكن الواقع يقيدها. إذ جاءت (إلا) أداة الاستثناء المفرغ، حيث خلت الجملة من المستثنى والمستثنى منه. وقرر الله في غير هذه الآية أنه سيرفع عن صدره عليه السلام بعض الآيات شريطة موافقة مشيئة الله تعالى. وقال تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسيها نأتي بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾سورة البقرة ١٠٦. فبأن القرآن الكريم خال من التعارض أو الخطأ فإن الله استثنى ذلك بأنه يرفع عن صدر الرسول ما وافق مشيئته، ثم أكد ذلك بـــــ(إن) أداة التوكيد حتى يزيل الريب عن المستمع وقرر أنه يعلم ما يسره الإنسان وما جهر به.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾

يرى الباحث من خلال اهتمامه بهذا العنوان أن هذه الآية خالية من التقييد، إذ يرى الله سبحانه وتعالى كثرة ما سبق من التقييدات، وأن ما تكونت عليه الآية وعد من الله إلى رسوله في تيسيره صلى الله عليه وسلم لليسرى، وإثبات نعمه عليه فيما بعد، وقد ظهرت عليه صلى الله عليه وسلم نعمات هائلة يصدقها الواقع، من رعاية الله له من كل كيد الكفار والمشركين، واستغنائه مع كونه يتيما في بداية حياته، فهذا الوعد لا يحتاج إلى التقييد إذ هو وعد من الله الذي لا يمنعه مانع من إرادته. وهو الوحيد الذي لا مثيل له، وخلق السماوات والأرض له واعترف الناس كلهم له بذلك. فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام، وتكميل غيره كما يفصح عنه.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾

ورد التقييد في هذه الآية بالشرط، فذكر الله تعالى جواب الشرط قبل جملة الشرط، والتقدير في غير القرآن، (إن نفعت الذكرى فذكر) إذ يبين الشرط ما يكون للإنسان من الجزاء، عقب استماعه إلى الذكر، لأن نفس الإنسان ضعيفة، وما سُمي الإنسان إنسانا إلا لكثرة نسيانه، ويزيل النسيان عنه إذا صاغ إلى الوعظ والذكر. فأمر الله الرسول في الآية الكريمة أن يتولى الرسول بالذكر شريطة أنها تنفع لمن يتعظ، وأما إذا علم أنها خلت من النفع والفائدة فليصمت. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الذريات ٥٥، وقال أيضا: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيد ﴾سورة ق ٤٥

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ﴿وَيَتَجَنَّـــبُهَا الْأَشْقَى﴾

استهلت هذه القطعة القرآنية بحقيقة أكيدة، ولم تتجرد من القيد؛ ألا وهو الشرط، حيث صرح أن من يفيده التذكرة هو من يخاف الله، لأنه قد مهد واستعد لما يجعله أن يتعظ بالذكر، وهو خشية الله وتقواه، إذ التقوى أساس لاتخاذ ما ستدعو إليه التذكرة، ثم جاء إثر ذلك بالعكس وهو حال الرجل أو الإنسان الموصوف بالشقاء، فإنه يبعد نفسه عن الوعظ إذ هو يسمع ما يضره في التذكرة، ويعارض ما يحرص إليه الواعظ ما يرتكبه من المعاصي والخطايا، ومن أجل ذلك يجعل بينه وبين التذكرة المسافة الشاسة البعيدة، حتى يتمتع بحياته، ويشتهي بما يدخل في تفكيره ونفسه.

﴿الَّذِي سَيَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾

ودأبت الآية في ذكر ما مصير من اتصف بالشقاء وجعلها خالية من التقييد إذ قد أسس الأصل لهذه الفئة من الناس، ولا يحتاج إلى التوكيد، فكل من انخرط إلى سلك الشقاوة فسيكون مأواه النار الكبرى التي لا مثيل لها مما نرى في الدنيا من النار. واستمرت الآية في بيان حاله ﴿الْأَشْقَى﴾ في تلك النار هي أنه لا يموت بحرقها الشديد؛ وأنه لا يتوفى ولا يعيش عيشة طيبة إذ إنها نار الآخرة. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾سورة النساء الآية ٥٦ فهذه النار يتألم كل من دخل فيها، وتحرقه دون أنه لا يخرج منه الروح فيستريح، وكذلك لا يجد المتعة في داخلها، ﴿ولا يحيى﴾ أي لا يجد ما يتمناه الإنسان من الرزق والرغدة والوسعة والعافية في داخل هذه النار. وقد خلت هذه الآيات الثلاثة من التقييد إذ قد ثبت شقاواه، ولا جزاء حسن لكل من اتصف بالشقاوة حتى في الأمور الدنياوية. ولم تشتمل هذه الآية على التقييد لأن محتواها ثابتة، وأقرها آيات عديدة من القرآن حتى تبرهن الأمر وحققت القضية ولم تكن لها حاجة إلى التوكيد أو التقييد المفرط.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

ثم أقر الله الفلاح لمن اّتعظ وقدّس نفسه عن الهوى ونزّهها عن المعصية. وذكر بعض المفسرين (Qurtubiy, 2006) أن التزكية في هذه الآية هو من أخرج زكاة الفطر بعد إكمال صيام في شهر رمضان، إذ ثبت في الحديث أن زكاة الفطر تزيل المعصية والآثام التي قد يرتكبه الصائم أثناء إمساكه في شهر رمضان، ومهما كان الأمر، فإن تزكية النفس من الذنوب ضرورية للإنسان المسلم، ومن قام بهذه العملية وحاول اجتناب ما نهى الله عنه، في رمضان وغيره فقد فاز فوزا عظيما. وأتى الله بأداة من أدوات التقييد وهي (قد) وأتي بقد لإفادة التحقيق، تشير إلى أنه لا ريب ولا شك في فوز هذه الفئة، إذ غيرها في النار الكبرى، ثم أتى الله بما قام به هذه الشرذمة من الناس وهو أنه ذكر اسم ربه سواء في يوم عيد الفطر أو غيره فإنه أفلح وصار من الذين قاموا بما رضي الله عنه. فهذه الصفات هي التي أهلتهم لهذه المنزلة المرموقة الممتعة التي كانوا فيها. وأثبت الله في هذه الآية أن الجزاء العبد يكون على حسب ما فعله العبد عندما كان على كيد الحياة، إن كان خيرا فخيرا، والعكس كذلك، فإن الله لا يظلم أحدا.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

واختتم الله هذه السورة بسرد الأحوال النفسية التي تعمقت في نفوس الكفار الذين زين لهم الشيطان متاع الحياة، فحسبوها خيرا وأحسن، وهو إيثار الحياة الدنيا على الآخرة، وأقر الله إزاء ذلك ما ينبغي للعاقل أن يهتم بها من دون ذكر القيد وقال: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وهو أن رغبة للسعادة يوم الآخر وتقديم الأعمال الصالحة لتلك الدار هو أجود وأحسن وهو ما لا فناء له، والدنيا التي كنا فيها ستنتهي يوما لا مفر للإنسان من هلاكها، وإذا انتهت الدنيا فكيف بمن فيها.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ ٱلْأُولَى﴾ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

ابتدأت الآية القرآنية بالتقييد وهو (إن) أداة التوكيد ليزيل عمن زعم أن هذا الإرشاد خاص بالرسول وقومه فحسب، وذكر أنه مذكور في الكتب السابقة، ثم استشهد بكتاب إبراهيم، وكتاب موسى التوراة عليهما وعلى رسولنا المصطفى أزكى الصلاة والسلام. وهما من أصحاب العزم من الرسل الخمسة. وجاء الله تعالى بذكر اسم النبيين توطيدا وتقوية لما تكونت عليها الآية.

نرى من خلال دراسة الإطلاق والتقييد من هذه السورة كيف انعكست هذه الظاهرة في بيان ما تدعو إليه الآيات القرآنية، ونكتشف عبر هذه الظاهرة أن الله تعالى لم يترك للإنسان مجالا للجدال ولا الالتباس في استيعاب كلامه، ونجد أيضا أنه كثر توظيف التقييد ووضع كلامه في أسلوب لا يجد المستمع أو القارئ فراغا للغفلة أو الجهل عنه؛ ووضّح حالات السعداء وقسيمهم حتى يعلم كل واحد بنفسه إلى ما ذا انتمى، وبين أن الجزاء يكون مما يعمل به الإنسان، كما صور الله تعالى أحوال أهل الجنة وأهل النار حتى يستشعر به الإنسان وهو على كيد الحياة، وينتقي منهما ما اشتهاه لنفسه. كما امتدت الملاحظات في هذه السورة لكي لا يكون للإنسان عذر، ومهد الله تعالى الطريقة السهلة في إبلاغ رسالته إلى الناس وتحدّث بالأساليب المرتفعة التي لا يفوق قريحة الإنسان العادي، حيث أتى ببعض الآيات خالية من التقييد، إذ هي سهلة الفهم، يستسيغه كل من يسمعه، ويستوعب محتواه من دون حاجة إلى البيانات أو الشروح المفرطة.

نتائج البحث

توصّل الباحث في نهاية هذا البحث على النتائج التالية:

١) أن الآيات الكريمة في سورة الأعلى تشتمل على الإطلاق والتقييد

٢) أن آيات التقييد أكثر من الإطلاق حتى لا يمنح أحدا مضمارا للجهل أو التفريط عن السبيل السوي.

٣) أن من أدوات التقييد المذكورة في السورة ما يلي: المفاعيل، وهي مذكورة في الآيات التالية: ١، و١٥، والشرط في الآيات الآتية: ١٠،و ١٤ والوصف في هذه الآيات الكريمة: ١٢، و١٦، والعطف نحو الآيات ١٣،و ١٩.

توصيات

يوصي الباحث التزام بدراسة الإطلاق والتقييد في الآيات القرآنية، تعطي هذه الدراسات فرصة اكتشاف ما تدعو إليه الآيات القرآنية مما لا يشير إليه المفسرون السابقون، وبهذا يتقدم العلم وتتطور المعرفة بما أشار إليه القرآن الكريم، وتنمي معرفة الأسرار المختفية في دلالة الإطلاق والتقييد، وبهذا يظل القرآن مضمارا وميدانا للتقدم الإنساني والتنمية العنصر البشري.

خاتمة

يستهدف الباحث إزاء وضع هذا البحث المتواضع إثبات قوة العاملينِ الإطلاق والتقييد في استخرج المعاني المختفية من النص، وإحصاء ما كثر ورودها من بينهما. واتبع الباحث في إنجاز هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي. وتكونت المقالة من مفهوم الإطلاق والتقييد لغة واصطلاحا، فأهم الأدوات التي تفيد التقييد منها المفاعيل، والشرط، والوصف...، كما وضع الباحث الدراسة التطبيقية النموذجية للموضوع المدروس من سورة الأعلى. وتوصّل الباحث في نهاية الدراسة إلى أن التقييد أكثر إيرادا في الخطاب المحلل من الإطلاق، وذلك من أجل البيان والفصاحة وتوطيد المقصد بين منتج الحديث والمتلقي. لأن الهدف الأساس للغة هو البيان، وإذا منحت الحرية المطلقة للمستمع؛ فإن ذلك يؤدي إلى الغموض وسوء الفهم.

REFERENCES

Abul Fadil Muhammad Ibnmanduor,(2002) *Lisaanu Arab*, Daarul Hadith, Cairo.

Ahmad Ibn Faaris, (1994) *Mu'jamu Maqayis Luggah*, Beyrouth: Daarul fikr,

Al asfahaaniy, Muhammad Aliyu, (1987), *Mantiq tafseer l Quraan*, Cairo, Markaz Mustapha al Aalamiy litarjamah wa nashri.

Al bursawiy, Ismail Haqiy, (2006) *Tafseer Ruhu l Bayaan,* Beyrouth: Daarul Fikr.

Al hashmiy, Muhammad ibn Abdullahi, (1999), *jawharul Balagah,* Beirut, Daarul Kutubi l Ilmiyah.

Buhayriy, Saeed Hassan, (1997), *Ilmu luggati Nassi: al mafaiim wal Ittjaahi*, Cairo, Longman, ashsrikatu Masriyat l Aa'lamiyah

Ibn A'qiil, Abdullahi Ibn Abdurahmaan, (2007),*Shariu Ibn A'qeel Li alifiyati ibn Malik*, Beriut, Darul Fikr l Arabiy.

IbnHishaam, Abdullahi ibnYuusuf, (2003), *Qatru Nadah wabalu Sudah,*Beiruit: Daarul Kutubul Ilmiyah.

Ibrahim Muhammad Naja, (2008) *At tajweed wal Aswaat*, Daarul Hadith: Cairo.

Qurtubiy, Abuabdullahi Muhammad bin Ahmad, (2006) *Al jaamiu Liahkaam l Quriaan*, Beyrouth: Muhassat Risaalah.

Qutub, Sayyid, (2019), *Fi dhilaali Quran,* Turkey, Maktabat Daarul Usuul l ilmiyah.

Sakakiy, Abuyaquub YusufibnMuhammad, (2000), *Miftaahu li Uluum*, Beyrouth: Dar al-Kotob al-Ilmiaa.